

الإيمان بالله

نقد على بحث ظهر في مجلة نور الاسلام

• العدد الاول ، المجلد الاول . مجلة دينية عليا اخلاقية تاريخية حكية تصدرها
مشيخة الازهر الشريف اول كل شهر عربي في ٨٠ صفحة من القطع الكبير .

منذ أمد غير وجيز وصلني من ادارة هذه المجلة كتاب يسألني فيه مرسله إذا كنت أرغب في أن أبادل نور الاسلام بالعصور ، فبادرت بإرسال كتاب بالايجاب راجياً للمجلة سعة الانتشار وطول العمر في خدمة الدين الاسلامي الحنيف . وصدرت المجلة بالفعل ، وأخذت أترقب المبادلة لأرسل العصور إلى ادارتها ، ولكن أبت الادارة إلا أن تحجب عنا ، نور الاسلام ، بعد أن بشرنا بعض الذين لهم بالازهر صلة من كبار مدرسيه ، أن شعار المجلة سيكون : « الأدب المرضي والموعظة الحسنة » ، وأن طريقتها ستكون « وجادلهم بالتى هي أحسن » ، و « انك لا تهدي من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء » . فقتشفت إلى الاطلاع على العدد الاول من المجلة وسعيت إلى ناحية الازهر حتى عثرت على عدد في مكتبة منزوية في رقعة غير معروفة من رقايع الازهر الشريف ، فأخذتها جذلاً فرحاً ، لعل أفوز بشئ . من الادب المرضي أو الموعظة الحسنة ، أو لعل أعرف شيئاً من حكمة « جادلهم بالتى هي أحسن » ، لم أكن أعرفه . وما كدت أتصفح المجلة حتى وقعت على بغيتي ووصلت إلى ضالتي المنشودة ، ففضلت أن أنقل لقراء العصور شيئاً من « نور الاسلام » ، حتى أكون قد أشركت قرأى القليلين في الفوز ببعض ما فزت به من الادب المرضي والموعظة الحسنة .

جاء في الفاتحة ص ٢ من مقال بقلم رئيس التحرير محمد الخضر حسين ما يلي :
« وما زال الاسلام على جلاء حقائقه وروعة حكمته يتبلى بطوائف يصدون عن سبيله في لون من المداجاة والرياء ، وآخرين يناصبونه العداة في جهل وغرور ، وكان أهل العلم فيما سلف على بقظة عما يعمل هؤلاء وهؤلاء ، فيقعدون لهم كل مرصد ، ويزيحون شبههم ويرفعون الغطاء عن سرائرهم وماتكن أقوالهم ، فيذهب باطلهم زاهقاً وتبقى كلمة الحق هي العليا » .

• ولم يكن للجاهلین على الاسلام قبل اليوم طریق يهاجمونه منه غير حديث

يناجي به الرجل بعض النفوس التي يجدها على شفا حفرة من الغواية، أو تأليف بعض الكتب كما فعل ابن الراوندى وفريق من الباطنية، وكان أهل العلم يأخفون في دفاعهم هذه الطريقة نفسها، فيؤلفون الرسائل والكتب ويقطعون بها مرحلة اغوائهم ويحفظون الأمة من عدوى أمراضهم.

• أما اليوم فقد تهيأت لخصوم الدين الخفيف طرق أخرى ينفذون منها إلى ما يبتغون من اشاعة قول الباطل، أو تزوين عمل خاسر (مرحى مرحى) ومن أشد هذه الطرق خطراً الكتابة في المجلات السيارة، فقد يسبق إلى بعض قرائها أنها لا تنطق برأى إلا يكون موزوناً، ولا تدعو إلى عمل إلا أن يكون مرضياً..
• أجل في المجلات خير كثير، وفيها مع هذا الخير صحف لا تحرى مواطن النصيحة، فيكون لبعض ما تنشره أثر في افساد القلوب غير يسير.

هذا في الفاتحة. فإذا وصلت إلى الصفحة ١٤ وقعت على عنوان «أصول الدين»، وهو باب ثابت في المجلة وتحتته مقال بعنوان «الايان بالله» بامضاء يوسف الدجوى. فإذا أردت أيها القارئ الضال في مهامه الوسواس الضارب في فلولات الجهل أن تعرف أصول الدين وأن تقف على أول أصوله وهو الايمان بالله فاقراً ما يأتي على أنه أدب مرضى ومرعطة حسنة. قال الاستاذ بيض الله وجهه وأعلى كعبه:

«ميناً في هذه العصور التي يجدر بنا أن نسميها عصور الزور والاثم والفجور (١) يقوم بنسبون إلى العلم ما يبرأ منه العلم، فيعارضون كل شيء جاءت به البيانات بحجة أن العلم يأباه. وقد وثق بهم كثير من الناس لما بهرهم من آثار ذلك العلم المادى التي تسي الانظار، وتدشش الافكار، فظنوا أن كل ما يقولونه من جنس هذه المنظورات، وأن لهم من التجديد في المعقولات ما لهم من التجديد في المخترعات. ولكن فاتهم أن هؤلاء المتفهمين المتحاملين على الأديان إنما برزوا (٢) في المحسوسات لا في المعقولات وفي علوم الطبيعة لا في آراء الطبيعة، ولما لم يمكنهم أن يكذبوا على علم الطبيعة في المحسوس، كذبوا عليه في المعقول، فكانوا كالمذلل الذي لا ضمير له، أولاً منطق له. فهو يخلط الحق بالباطل والصحيح بالعاطل، تخافوا العلم وغشوا

١. لقد نسي الاستاذ منه التوث: هاز مشاء بنهم. مناع للخير معتد انهم، عتل بعد ذلك زعيم، كما نسي ان يرمى بها اهل عصور الزور والاثم والفجور ليكون عند حدود الادب المرضي والموعظة الحسنة. زادنا الله من آية وعلة — . المصور.

٢. في الاصل برزا وهو خطأ — . المصور.

الناس جهلاً بالدين وبعضاً فيه وتحاملاً عليه، مع ملاحظة أنهم ليسوا أهل منطق ولا استدلال، وليس لديهم غير ذلك القوي الباطل وتلك الثروة الفارغة التي ليس فيها ظل من برهان، ولا إثارة من علم، وكثيراً ما يشبه عليهم القياس الفاسد بالقياس الصحيح، والتخمين بالتيبين، والاستحسان بالبرهان. وكثيراً ما تكون المسائل هناك في محل الفرض أو الأخذ والرد، فيحبونها علماً، وهي في أول مرحلة من مراحل البحث العلمي. وطالما تناقضوا (والمبطل لا بد (١) أن يتناقض) فبيناهم يقررون أنهم متمسكون بالمحسوس ولا يقولون بغير ما وقع عليه العيان، اذ تراهم يخطون خط عشواء في ظلمات الاوهام متخطين تلك الحدود التي رسموها لانفسهم الى حضيض الخيال والتظن والتخرص. على أن الملحدين عندنا أجهل من أن يقال إن ٢٠، لهم شيئاً يتقدم به العلم المحسوس أو المعقول، وأصغر من أن يكون لهم فيه ظن أو استحسان، وانما هم أذبال أولئك الماديين المتعصين الجاهلين، كالمتأفق الغمر (مرعى مرعى) الذي يقول سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فهؤلاء لا يعدون من رجال العلم، وانما يعدون من صبية ملاحدة الغرب الذين ٢٠، يصفقون لهم كلما سمعوا شيئاً من الترهات أو الخرافات (والمصفق يصم الآذان ولا يعرف البرهان) ...

دعنا من أن الشيخ المبجل لا يعرف ماهو الفرق بين المعرفة والعلم والأدب كما عرفها فلاسفة العصر الحديث، على مانستين من كلامه، ودعنا من أن الشيخ المحترم جاهل بكل لغة الا اللغة العربية فهو يسقط ما يقول وما يبنى عليه آراءه من مقولات الجرائد، لا من مظان العلم الحديث في الكتب الرئيسية، دعنا من كل هذا، ولتقدم الى الاستاذ في خضوع نائله، هل يرضيه أن يوجه اليه ملحد نفس سياق كلامه على اعتبار أنه رجل من رجال الدين، فيقول مثلاً

« منينا في هذه العصور التي يجدر بنا أن نسميها عصور الزور والانتم والفجور يقوم ينسبون الى الدين، ما يتبرأ منه الدين. فيعارضون كل شيء جاء به العلوم، بحجة أن « الدين » يأباه. وقد وثق بهم كثير من الناس لما بهرهم من آثار ذلك « الدين » التي تزيع الاظفار وتبيل الافكار، فظنوا ان كل ما يقولون من جنس هذه « المعقولات »، وأن لهم من التجديد في « الفرضيات »، ما لهم من التجديد في ماهو بعد « المعقولات »، ولكن فاتهم أن هؤلاء المنفيقين المتحاملين على « العلوم »، انما

١٠. السابق العربي يحتم وضع « منه بين لا بد وان ٢٠، الصحيح بكسر مزنة ان لاتحيا ومن في الاصل فتوحه ٣٠، الاملاء الصحيح ان تكون الذين بلام واحدة والا فانها تدل على شيء لا على جمع ومن في الاصل لا يمين

برزوا في . الفرضيات ، لافي . المحسوسات ، وفي علوم ماوراء الطبيعة لافي علم الطبيعة ، ولما لم يمكنهم أن يكذبوا على . الفرضيات « في . المعقولات ، كذبوا عليها في . البرهانيات ، فكانوا كالمذلس الذي لا ضمير له أو لا منطق له ، فهو يخلط الحق بالباطل والصحيح بالعاطل ، يخافوا . الدين ، وغشوا الناس جهلا . بالعلم ، وبغضا فيه وتحاملا عليه ، مع ملاحظة أنهم ليسوا أهل . علم ولا تجربة ، وليس لديهم غير ذلك التوجيه الباطل ، وتلك الثثرة الفارغة التي ليس فيها ظل من برهان ولا إثارة من دين ، وكثيرا ما يشتبه عليهم القياس الفاسد بالقياس الصحيح والتخمين باليقين والاستحسان بالبرهان ، وكثيرا ما تكون المسائل هناك في محل الفرض أو الأخذ والرد فيحسبونها . ديناً ، وهي في أول مرحلة من مراحل البحث الديني . وطالما تناقضوا ، فبينما هم يقررون أنهم متمسكون . بالفرضيات ، ولا يقولون بغير . الموهومات ، اذ تراهم يخطون خط عشواء في ظلمات الخيال متخطين تلك الحدود التي رسموها لأنفسهم الى حضيض الخيال والتظن والتخرص ، على أن المتدينين عندنا أجهل وأقل من أن يقال إن لهم شيئا يتقدم به الدين أو المعقول ، وأصغر من أن يكون لهم فيه ظن أو استحسان ، وانما هم أذيال أولئك . الدينين القدماء الجاهلين ، كالمناق الغمر الذي يقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته . فهؤلاء لا يعدون من رجال الدين ، وانما يعدون من صبية السلف الذين يصفقون لهم كلما عثروا على شيء من الترشات والخرافات (والمصفق يصم الآذان ولا يعرف البرهان)

إذا خاطبه . ملحد ، بهذا اللسان ، أفتراه يرضى ؟ . . .

مادية الارادات والاسباب

نتقل من هذا الى البرهان الذي ساقه الاستاذ في وجود الله والايان به ، فاذا به ينزل من هذا الموضوع الخطير مثلة لا يرضاها لنفسه لو أنه فقه النتائج التي ترتب على برهانه الذي مضى به فرحا طروباً . والحق أن برهان الاستاذ لا يؤدي بنا إلا الى الاعتقاد بأن الله . فكرة ، وأن هذه الفكرة لا تقوم على أكثر من . فرض ، عقلي ، ولو أنه ضروري .

يقول الاستاذ كروز يار مايلي :

« كما أن الشبح المنعكس ، من عدسة زجاجية على حائط ، ليس سوى صورة

مكبدة من ذلك الشبح الكائن في العدة ، كذلك النظريات الخاصة بهذا العالم ، فانها ليست سوى صورة مكبدة من نظريات العقل الانساني ، تسبك عادة على نماذج تستمد من تجاربنا الذاتية .

وهذه الحقيقة الثابتة لا يمكن أن يتشكك فيها مادي ولا ديني . فهي قاعدة ثابتة يقوم عليها معتقدنا الذاتي في وجود الاشياء الخارجة عن مدار الحس . على أن هذا المعتقد من ناحية أخرى لا يقوم على أساس من العلم الصحيح ، العلم المدرك بالحواس على ما حدده فلاسفة العصور المتأخرة ، وعلى ما أخذ به العلماء ، بل يقوم على ألفة خاصة في تكوين العقل الانساني ، قد تصح موجهاتها في الخارج أولاً تصح ، لانها على أية حال تحتاج ، لكي تصبح علماً صحيحاً ، وعلى ما يدرك من معنى العلم الحديث ، أن يؤيدها الحس وثبتها التجربة .

على أن العلم الحسي ناقص لا محالة . لأنه كما يعجز عن اثبات وجود الله بطريقه الموضوعية ، فهو كذلك يعجز عن اثبات حقائق عليية لا قيام للعلم الحسي بغيرها . وكان هذا أول ما وجه من البراهين التي نقضت بها فكرة الفيلسوف ، كون ، اذ يقول بأن فكرة وجود الله لا يمكن اثباتها من طريق العلم ، — ويقصد به العلم الحسي الحديث من ذلك مثلاً الاعتقاد في وجود عالم خارج عن حيزنا . ذلك لان ادراك العالم الخارجي يرجع الى وجود حواسك الكائنة فيك لا الخارجة عن حيزك ، وعلى ذلك يكون فقد حواسك مانعاً لك عن أن تدرك من وجود العالم الخارجي شيئاً ، إلا أن تركيب عقلك قد وضع على نظام يحملك على الاعتقاد بأنها كائنة في حيز خارج عنك . فاذا اعتقدت بما يخالف ذلك ، وأخذت تؤدي عملك بما يوحى اليك به اعتقادك هذا ، كان ذلك دليلاً على أن ميزان العقل قد اختل وتفككت ألفته .

وعنى هذا تجد الحال في اعتقادك بوجود العقل في ذوات من البشر غير ذاتك ، والاعتقاد في تفوق العقل على المادة ، والشجاعة على حب الملاذ ، والاعتقاد في بقاء القوة . أى حقيقة أن كية القوة الموجودة في الكون ثابتة لا تزيد ولا تنقص ، والاعتقاد في أن المادة توجد بوجود قوى الجذب والدفع ، والاعتقاد في السبية العملية . فان كل هذه الحقائق التي هي من سادات العلم الطبيعي يعجز العلم عن اثباتها بظرفه الحسية ، ويفزع فيها الى العقل يستمد من ألفته قوة يثبت بها وجود هذه الاشياء باعتبارها حقائق ثابتة ونواميس كونية .

فاذا كانت القواعد الاولية التي تقوم عليها مدركاتنا ومعارفنا العملية المنظومة

يجب أن يعتقد بها ولولم يكن في استطاع العلم ، أن يثبت وجودها ، فإن أقوى برهان يقيمه ، كون ، في وجه الفكرة في وجود الله ، اذ يقول بأنه لا يمكن اثباتها من طريق العلم ، يضعف ضعفاً يينا .

وإذن فليس للعلم صلة بفكرة وجود الله ، بل الصلة الثابتة هي بين ألغة العقل وما يدرك من حقيقة الوجود . وفي هذا ينحصر برهان الاستاذ الذي يحاول أن يقيمه على حقيقة الايمان بالله ، ويذهب فيه مذهب الفرضيين اضطراراً لا اختياراً ، لانه لا سبيل الى إثبات الفكرة في وجود الله بدونها فهو يقول في ثبت مقاله .

وكان ينبغي ألا يختلف في هذه الحقيقة لان دلالة الأثر على المؤثر والنظام على المنظم والفعل المحكم على الحكيم ، بديهية ، بل قالوا إن ذلك مما يدركه الحيوان ، فضلاً عن الانسان فالاستاذ من هذه الناحية عند قول الذين يقولون البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير — وهذا ولا شك ، على الرغم من أنه أمر ضروري ، بحكم طبيعة العقل والكفايات الانسانية ، من أكبر ما يصيب الاديان من الضعف في ارتكازها على فكرة وجود الله .

لقد ذاعت الفكرة المادية في العصور الحديثة وظهرت بارزة قوية ، عندما أذاع الفيلسوف ، كونت ، رأيه في الارادات والاسباب حيث قال —

« ان الانسان اذا عجز عن تحليل ظاهرات الكون ومعرفة أسبابها الطبيعية ، عزاها الى قوى شبيهة بقواه البشرية ،

وبما لا مشاحة فيه أن نظرية ، كونت ، هذه تنطبق تمام الانطباق على الحالة التي يحار فيها الفكر ويعجز عن بلوغ الاسباب التي تعود اليها الظاهرات ، وبعد هذه النظرية عن مغمضات الكلام الفلسفي ، جعلها شديدة الأثر في اذهان الناس . وبما جعلها أشد تأثيراً في العقول وأبعد منعة عن مجال النقد ، أنه مامن استكشاف الاوأيدها ، إذ به يعرف الناس أصلاً طبيعياً جديداً تعود اليه ظاهرات ، كانوا من قبل ينسبونها الى ارادات مثل ارادتهم ، لالي قوانين وسنن طبيعية ، بعيدة عما كانوا يعتقدون به كل البعد . يقول ، كونت ،

ان الاعتقاد في إرادات أو ذرات عاقلة . لم يكن الا تصوراً باطلاً نخفى وراءه جهلنا بالاسباب الطبيعية . أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدنية الحديثة يعتقدون بان كل الحوادث الكونية والظاهرات الطبيعية . لا بد من أن تعود الى سبب طبيعي ،

وانه من المستطاع تعليلها تعليلاً علياً مبناه العلم الطبيعي ، فلم يبق ثمة من فراغ يسده الاعتقاد في وجود الله ولم يبق من سبب يسوقنا الى الايمان به ولا نكران مطلقاً في ان الاعتقاد بالله اذا ارتكز على ضرورة العثور على بيان مما بعد الطبيعة يفصح به عن حقيقة الظواهر الطبيعية التي لا يمكن تعليلها بغير استدلال وحى ماوراء الطبيعة ، يصبح اعتقاداً غامضاً محوطاً بالريبة في نظر العقليين والطبيعيين معاً ، بل ان هذا الاعتقاد يمسى عرضة للزوال امام اضعف البراهين الطبيعية . غير ان موضع الضعف في تدليل كونت ، ومن تابعه في الرأي تنحصر في اعتقادهم بأنه لا يوجد في العالم من شيء يحتاج الى التعليل اكثر من وصل الحلقات المتفرقة في سلسلة الظواهر الطبيعية التي يتكون منها العالم في مجموعه بعضها ببعض ، في حين ان الحقيقة ان السلسلة في مجموعها باعتبارها كلاً متواصل الاسباب ، غير ممزقة للوحدات ، يظل سببها الاول غير معروف ولا مدرك .

ليس يكفي ان تعلل لنا الاسباب الطبيعية كيف ينشأ الانسان من ابويه وكيف نشأت القرون الاولى من قبله ، بل الواجب أن يكشف الطبيعيون ، لكي يصح استدلال كونت ، عن علة وجود الانسان اصلاً في هذه الحياة الدنيا .

وحتى بعد أن اثبت الطبيعيون ان الانسان تاج لسلسلة من التطور والنشوء الطبيعي محتوم أن تنتهى الى الغاية التي عندها ظهر الانسان في الوجود ، فان العقل يظل في حيرة من حقيقة هذا النظام الذي اسلم في النهاية الى وجود الانسان في هذه الحياة وعلى هذه الصورة . ذلك لان تعليل الاجزاء لا يسلم العقل بأنه تعليل للكل في مجموعه لا يكفي أن يعرف الطبيعيون كيف انشأت سنن التطور والارتقاء الاحجار والاشجار والازهار والحيوان والانسان ، بل يجب ، لكي يصل الى دليل يتقنع غلة العقل الانسانى لدى بحثه في اصل الوجود ، ان يملأوا ببراينهم الطبيعية ، لماذا خصت الذرات التي تتكون منها الاشياء المادية ، بجاذبي الجذب والدفع ، ولم تخصص بصفة اخرى ؟

في حالة من الحالات ، كانت المعرفة الانسانية بوجوه الاتصال بين الظواهر المختلفة ضئيلة الى حد مت الحاجة عنده الى فرض مجموع في مختلف الآلهة يرجع الى كل منهم السبب في وجود كل حلقة من حلقات الظاهرة منفصلة عن المجموع . ولما ضربت الانسانية بقدمها الثابت في سبيل العلم الطبيعي ، قلت الآلهة تدريجاً ، ولم يبق منها إلا نزر يسير معللاً به بعض الظواهر التي كانت اسبابها لانزال رهن التحقيق العلمى ، ومضت العقول بعد ذلك بمنعة في الكشف عن كثير من حقائق الكون

حتى استقر اعتقادها في النهاية على إله واحد، اقتضت إرادته على التدخل في بعض الظواهر دون بعض، وبطرق وسمت بميسم العلم والحكمة .
يقول الطبيعيون اليوم بأن الظواهر الطبيعية المختلفة يمكن تعليلها بأسباب طبيعية، أو هي قابلة لأن يكشف عن أصلها بالعلم الطبيعي . فهل هذه الفكرة، ان صحت، تغني عن الاعتقاد بوجود الله؟ على الضد من ذلك اعتقد ان هذه الفكرة لا تغني عن الاعتقاد بالله شيئاً، وان كل أثرها محصور في انها تضعه وراء عالم الظواهر لاغير . تبعده عن التدخل المباشر في أحداث وجوه الاتصال بين الظواهر الجزئية، وتجعله مرجع الكلليات العامة . مرجع القصد والنظام، وعلة الكون في مجموعه .
قبل أن يستكشف قانون جاذبية الثقل اعتقد وكبر، أن حفظ السيارات في أفلاكها راجع الى أرواح موكلة بها . أى أنه نسب السبب الطبيعي الى إرادة مثل إرادته، عندما أعوزه السبب الذي تعود اليه الحركة . فلما عرفت جاذبية الثقل، سكن العقل البشرى اليها ولم يحاول مرة أخرى أن يعلل حركة الاجرام . ولكن الإيحاء العقل البشرى الى البحث عن سبب ترجع اليه جاذبية الثقل وأثرها في نظام الكون ؟

ينكر كونت، والماديون أو هم يتناسون على الأقل، أن الحلقات المتتابعة التي تكون منها سلسلة الظواهر الكونية، ان كان من المستطاع تعليلها بالاسباب الطبيعية، فان السلسلة ك مجموع ووحدة غير محللة ولا منفصلة الاجزاء، قد ظلت في الماضي والحاضر، وستظل عند العقل في المستقبل، محتاجة الى تعليل، والسبب، اليه تعود ومنه تنشأ . ولما كانت هذه الحقيقة ذاتها غير مستطاع أن تصل اليها الاسباب الطبيعية بتعليل، كان لامندوحة لنا، بحكم قانون كونت، نفسه من ارجاعها الى حكم إرادة حرة أو الله .

اما اذا حاول الماديون أن يقولوا باننا لسنا مرغمين على الاعتقاد بوجود الله مع هذا، ظهر قولهم بعيداً عن الحكمة، لأنك اذا لم تعتقد بوجود الله لتعليل الكون في مجموعه، فهضت حجر الزاوية من قانون كونت، الذي سلمنا مع الماديين بأنه حقيقة ثابتة، ولتفككت مع نكراتنا لوجود واجب الوجود، (عقلاً) كل ألثة للعقل، وهو الاداة الوحيدة التي تستطيع بها الذوات الفانية البحث وراء الحقيقة، كما أنه مرجع اليقين والاعتقاد .

قد يقول البعض ان الانسان استكشف من الدين الطبيعية ما استطاع به أن يعلل كثيراً من الظواهر التي كانت تنسب دائماً الى ما بعد الطبيعة والغيب، فلم لا تؤمل

أن نستكشف في المستقبل علة الكون ؟ وعلى هذا القول يرد الاستاذ كروز بار بقوله : إن كل ما استكشف الانسان من الاشياء التي تكون مدنيته وعلمه، ليست سوى ستائر جمع اليها الظاهرات ، لا عللاً أصلية . ولهذا نرغم على أن نعود بعلة الكون الى آله عاقل حكيم ، مادامنا لانستطيع ، وليس في استطاعتنا ، أن نعرف للكون علة أخرى ،

لقد تابعتنا رأى وكونت ، على اعتبار أنه منكر لوجود الله . والحقيقة على نقيض ذلك . فإن وكونت ، ان كان لا يعتقد في علة العال ، وكل براهينه تسوق الى هذه النتيجة ، فانه لم يبلغ في كلامه حد انكارها نكراً تاماً مطلقاً ، بل على الضد من ذلك يقول انك اذا لم تجد من يد من أن تكون نظرية فرضية في حقيقة علة الكون ، وذلك عنده خرق كبير ، فان نظرية فرضية مبناه وجود عقل مدرك مدبر للكون ، أرجح من انكار وجوده . ولكن معتقدك في نظرية كونت ، لا يصبح أكثر من فرض ،

أما السبب في هذا التناقض الواقع بين مبنى آراء وكونت ، المنطقية التي يرجع اليها معتقده من جهة ، وبين اعترافه بعلة الكون فرضاً من جهة أخرى ، فيعود الى أن وكونت ، بينما كان يشعر بأنه لا ضرورة للاعتقاد بوجود الله ليعمل من طريق الانكار وجوه الاتصال بين الحلقات المنفصلة في سلسلة الظاهرات الطبيعية في الكون ، فانه لم يستطع أن يخرج بنفسه وعقله عن النتائج التي يؤدي اليها قانونه في الارادات والاسباب ، ، إذ يجر التأمل فيه حتماً الى القول بأن الكون كوحدة يجب أن يرجع الى سبب ، وان هذا السبب بمقتضى قانون وكونت ، نفسه ، يجب أن يكون علة مريدة مدركة .

تلك هي البراهين التي صدع بها العلامة كروز بار وغيره من المفكرين فكرة وكونت ، في أواخر القرن الماضي ، وتركت المادية حيث كانت من قبل وكونت ، وحيث وقفت سفيتها بين متناوح رياح الفكر تتقاذف بها انواؤه .

الاعتقاد بالله والسببية العلمية

يتقعد الكثيرون من أصحاب العقول الراجحة في هذا الزمان انه ليس في الفلسفة من شيء هو أبعد عن ألفة العقل ، من تلك الفكرة التي اطلق عليها القدماء اصطلاح التشبيه (Anthropomorphism) وأصحابها المشبهة (Anthropomorphists) أي الفكرة

القائلة بترويد الله بشئ من الخصائص الانسانية . على أن الاعتقاد بأن الله مكون على حسب نماذجنا العقلية ، أو أنه صورة من صور الفكر الانساني ، لا اعتقاد باطل قطعاً . وعلى الرغم من أن هذا الاعتقاد باطل . فإن محاولة الاعتقاد بأن علة الكون يمكن ادراكها بما يبعد عن إدراك ذواتنا ، أمر بعيد بحكم الطبيعة الانسانية ، بل قول هراء لا أثر له من الحقيقة .

لما أراد . فولتير ، ان يعارض القول المعروف في التوراة بأن الله خلق الانسان على مثاله ، قال بأن الانسان هو الذى خلق الله على مثال نفسه . وهذا القول صحيح من كل الوجوه ، وعلى أى من النواحي قلبه وجدته ثابتاً لا مبدل له ولا منصرف عنه . والحقيقة ان الاستاذ الدجوى نفسه ، لا يستطيع ان يدرك في الله الا انه مثال مكبر من الصفات الانسانية حتى القول بأن الله ليس كمثله شئ ، فانه قول مستمد من صفات العقل ، لأن العقل الانساني مجهول ، وليس كمثله شئ .

لقد حاول كثير من جهابذة أهل النظر وعظماء الفلاسفة ومتطشى العلماء ، أن يصلوا الى ادراك الارادة المدبرة لهذا الكون بأسلوب غير هذا الاسلوب فعجزوا ، ولو أنهم غالباً ما دسوا انهم وصلوا الى الحق . بينما نرى ، اذا ما امعنا النظر فيما اتوا به من الاقوال ، أنهم لم يتبعوا سوى طريقين : ففى الاول تجدهم وقد ادركوا العلة من طريق التشابهات المستمدة من الخصائص الانسانية ، وقد حوطوا تلك الخصائص بصفات يبعد أن تكون لأبن من أبناء آدم ، وفى الطريق الثانية تلتفهم وقد جعلوها مدركا مجرداً مقيساً بقسم من الطبيعة البشرية دنى . منحط غير محدود بحد ، بل مطلق إطلاقاً اعمى لا غاية له ، ولا نهاية .

خذ لذلك مثلاً الفيلسوف الكبير . سينوزا ، . فانه أبعد الفلاسفة عن الاعتقاد بان الله مكون على نموذج عقله ، ومضى فى فلسفته متخيلاً أنه اجتاز تلك العقبة الكؤود بان جعل الله عبارة عن امتداد وفكر ، غير ان دكتور «مارتينو» لم يلبث أن نقض فكرته هذه متسانلاً :

« من أين أنت له فكرة الامتداد الا من النظر فى حالات جسمه الطبيعية ، ومن اين أتى له أن الله فكر الا من خصائص عقله . ذلك لان الامتداد والفكر ليسا سوى شيئين هما اخص ما تتصف به الاجسام والعقول .

ارجع بعد ذلك الى « هربرت سبنسر » ، فانه على الرغم من قيامه فى وجه القائلين «بالنشيه» وعجزه عن انكار الله وعلة العلل ، أخذ يدير وجهه يمنة ويسرة لعله يقع على

شئ. بلعل به الكون و يعزو اليه النظام العالمى بحيث يكون بعيدا عن كل شك و ريبية
 فقاده خطواته الى القول بان هنالك قوة خفية تدبر الكون ، ظانا انه قد تخطى
 المصاعب واجتاز العقبات التى قامت فى سبيل غيره من الفلاسفة الطبيعيين . على انك
 لو نظرت فى فكرته نظرة تأمل لآلفت انه لم يتقدم على من سبقه من المفكرين خطوة
 واحدة، فكما ان الله عنده سينوزا، لم يكن الا شجعا انسانيا تمثله فى المكان، امتداد وفكر،
 كذلك كان الخالق عند سبسر ، عبارة عن تمثّل صرف لفكرة غير معينة ، هى فكرة
 القوة، وهى فكرة مستمدة من احط خصائص الذاتية البشرية : خاصية ادراك الحس .
 وانت مهما قلبت وجوه الرأى وامعنت فى النظر فانك تجد دائما ان فكرة القوة ، كما
 ثبت من قبل ، مستمدة من قسم من ذاتيتنا أى من ادراك الحس . فسبسر ، بدلا من
 أن يجعل الله بعيدا جهد البعد عن الذاتية البشرية كما كان يعتقد، اذ به يتمثله على نموذج
 مستمد من احط خصائص الانسان . على ان سبسر بعد ان حمل على فكرة التشبيه،
 لانها تزود الخالق بارقى الخصائص الانسانية ، مستقلا ذلك بجانب الله ، رجع فزلت
 قدمه قسرا عنه فيما زلت فيه قدم غيره من الفلاسفة الذين تقدموه فزود الله بخصائص
 مستمدة من احط الصفات التى يشارك فيها الانسان أدنا الحيوانات ، بدلا من أن يتركه
 مزودا بارقى الخصائص الانسانية

من الظاهر ، بناء على ذلك ، انه فى كل المباحث التى تتعلق بالنظر فى أصل الاشياء،
 لا يجب مطلقا ان تساءل عما اذا كنا تصور علة الكون ، على نسق مستمد من
 ذاتيتنا ، لأن تصوير العلة على نسق الذاتية البشرية أمر لا يمكن ان تصرف عنه ذات
 فائية ، بل الواجب أن تساءل دائما عما اذا كنا تصور ها على نسق مستمد من نظريات
 سطحية ، أم صور ها على نموذج مرجعه الوسعة فى النظر ، والالفة التامة المرافقة
 لطبيعة العقل الانسانى ونظامه .

فاذا كنا لانستطيع أن ندرك من علة الكون الا نموذجا يرجع تصويره الى تجاربنا
 الذاتية ، فمن الظاهر ان اعتقادنا فى وجود إرادة عاقلة أى علة خالقة ، وعدم اعتقادنا،
 يرجع الى ما ندرك من فكرة السببية . وما دام فهمنا للسببية عائدا الى ما ندرك منها
 حسب تجاربنا العلمية ، أى انها تنحصر فى القياس على السوابق الطبيعية الظاهرة أجلى
 ظهور ، فمن الجلى أننا لا نرضى فى غنيلتنا فكرة التسلسل السببى ، الا بالاعتقاد بان
 الاشياء لابد من أن تكون قد نشأ بعضها عن بعض متدرجة فى سلسلة منظومة
 خلال الزمان . وهذا أمر يلزمنا الاعتقاد حتما بوجود ارادة عاقلة مخبوءة وراء

الولد العاق الى ضرب أيه حتى يموت ، وإذا ما أصبح الحق للقوة : لم يبق ثم خطأ ولا حراب (وبين كليهما تقيم العدالة) فيفقد اسميهما وتضع العدالة معهما .

« وإذا كانت القوة هي كل شيء في هذا الوجود فالقوة تأتي من الإرادة ، والآراء من الشهوة . والشهوة : ذلك الذنب البشري ، اذا ما استحال الى قوة أصبح العالم فريسة الشهوات ، ويأكل الناس بعضهم بعضا حتى يأكل الأخير نفسه . .

وحب شكسير للنظام والقصاص يعدل في عمقه كرهه للفوضى واختلال الاحكام ، على أن دفاعه عن النظام في الصورة الايجابية التي أوردنا ذكرها في آياته السالفة لا يبلغ من القوة ما يبلغه دفاعه عنه في الصورة السلبية حين يحمل على الفوضى في خلال قصته . الملك هنري السادس : الجزء الثاني ، ومن المعقول أنك اذا أردت أن تحمل الناس على حب النظام واعتباره شيئا لازما للحياة أن تبدأ أولا بتعريفهم ماهو عدم النظام (الفوضى) ، ويمكننا القول بأن المواقف التي صور لنا فيها شكسير ذلك الشيوعي جاك كيد Jack Cade وأهوال المذابح الفوضوية التي ترتبت على خلل النظام بسببه - تكاد تكون تلك القطعة مكتوبة في هذا العصر ، وينبغي أن توضع في المكان اللائق بها في دراستنا التحليلية ، حتى ليجب أن نحفظ عن ظهر قلب من الرجال والنساء والاطفال والشيخ والعمال ورجال الدين على السواء ، وهأنذا أقص عليك طرفا منها وأنا على ثقة من أني سأثير سرور من لم يسبق له أن اطلع عليها ، كما أني لن أسبىء إلى من سبقت لهم قراءتها حين أعيد على اسماعهم قطعة من أرقى ما كتب في الادب عما قرؤوه في حياتهم

هنري السادس ملك ضعيف ، ضعيف إلى حد أنه يعاف القوة . يقول عن نفسه « ليس بين الرعية من يشتهي الملك بقدر ما أشتى أنا أن أكون في عداد الرعية » (الفصل الرابع) وهذا الضعف الشديد هو الذي يزرع الفتنة ويلهب المطامع ويثير المؤامرات ، لأن من لا يعرفون أن يحكموا يجب عليهم الطاعة ، ويرى دوق بورك (عم الملك) أن « نشأته أسعى من نشأة الملك » فيذهب إلى أيرلندا ويجمع حوله عددا من الانصار ، وفي الوقت نفسه يسعى لاثارة زوبعة في إنجلترا ، فيقع اختياره على قيس على شاكلته هو « جاك كيد » من « أشفورد » فيعته

للس المسائس واثارة الفتنة تحت إسم مستعار. هو « جون مورتيمر » الذي مات
ولكنما كان « كيد »، يشبهه كل الشبه، في شكله ومشيته وحديثه، و« كيد »، هذا من
أصل وضع : أبوه بناء وأمه مولدة، وكان الناس يطلقون عليه « جاك كيد »، بانع
الثياب القديمة (رو بابيكا) ويزعمون أن زوجته ابنة أفاق و أنها كانت تباع الاشرطة
والسجف ولكنها الآن وقد أصبحت عاجزة عن تحمل مشاق السفر قبع في دارها
تغسل الثياب للناس، على أنه لم يكن ثمة أحد يستطيع أن ينكر على « جاك كيد »،
أنه لا يهاب السيف ولا النار، وأنه شجاع مقدام، والواجب أن يكون جسورا ..
لأن التسول إن هو إلا جسارة .

ينجح « جاك كيد »، هذا في عمله ويجمع حوله جيشا من العمال الصباغين والقصاين
والنساجين ومن هم على شاكلتهم، ويتحلل لنفسه أنه حفيد أسرق « مورتيمر »
و« بلا تبحنت »، وبعد أنصاره بأصلاح الدولة وخضد شوكة الملوك والأمراء والنبلاء
وبأن يضع مكان هؤلاء نظام الشيوعية، ويستثير حماس جنوده قائلا لهم : « كونوا
شجعانا إذن، لأن قائدكم شجاع، وقد أقسم على أن ينفذ الأصلاح المنشود؛ وحيث
سوف يكون الخبز سبعة بقرش . الخ . الخ ..

وعندما أصبح ملكا عليكم (لأنى سوف أكون ذلك الملك) ...، فيصبح
جنوده « رعي الله جلالكم ! »، ويحييهم هو « أشكركم أيها المجاهدون الأبرار؛ سوف
لا يكون ثم ثمود؛ ستطعمون جميعكم وتشرنون (على حسابي) وذلك على قدم المساواة
كما تحبوا بعضكم كالأخوة وتنزلوني منكم منزلة أيكم،

ثم يحدث أن يقترح أحد القصاين - واسمه « ديك » - « ويواقفه » جاك كيد،
على قتل جميع رجال القانون، وكل من يضبط متلبسا بجريمة القراءة والكتابة وعمل
العمليات الحسابية، وإذن فقد أشهرت الحرب أول ما أشهرت على العدالة والتعليم،
وبناء على ذلك يقبض على كاتب فقير ويسجن ثم يؤتى به أمام جاك كيد فيحاكم ويحكم
عليه على الطريقة الآتية :

« س - هل اعتدت أن تكتب اسمك؟ وهل لديك ما تميز به نفسك كما يفعل

الرجل الشريف،

ج - اشكر الله ياسيدى على أنى نشأت نشأة حسنة وأنى استطيع أن أكتب اسمى

الجميع : ها هو قد اعترف ، بخفوه وغلوه ، وبخ الشرير اريج الخائن !

ويقول كيد : نعم ، نعم ، خذوه ! اقول لكم خذوه وعلقوه فى المشنقة ، وقلبه

ودواته حول رقبته ،

فى ذلك الوقت تقدم قوات الملك يقودها الضابطان « همفري » و « وليم »

سفورد » ؛ وينزل هذان الضابطان كل جهد لاقناع الشعب النائر ليعود إلى الاخلاص

والولاء للعرش ولكنهما يشلان فلا يجدان بدا من محاربة الثوار فيعودان ليستعدا للقتال

ولا يضع جاك كيد الوقت سدى فيقبل على اتباعه والانصار ويخطبهم قائلا : أتم

يا من تحبون الشعب اتبعوني ، هيا فاطهروا أنفسكم الآن رجالا فى سبيل الحرية :

يجب أن لا يقلت من بين أيدينا أى واحد من اللوردات أو النبلاء . لا تبقوا على أحد

إلا من صار فى صفوفكم ... أولئك الأشراف المترفون يودون لو كانوا فى مكانكم

ولكنهم لا يجرون ،

ويجرو « ديك » القصاب حينئذ على مقاطعة قائده إذ يرى قوات الملك تقدم

نحوم فيصيح قائلا « أنهم يتقدمون للهجوم علينا فى نظام محكم » فيجيبه كيد فى وثوق

الشجاع المقدام المعتد بنفسه « انا أفضل ما نكون نظاما حين نسير بغير نظام ... هيا

يارجال سيروا إلى الأمام !! » (الفصل الرابع)

يتقاتل الفريقان فتتهزم قوات الملك ويذبح كل من « همفري » و « وسفورد »

وحينئذ لم يبق أمام « كيد » عتبة تعوقه عن مواصلة السير إلى لندن . غير أن

صديقه الأمين « ديك » القصاب يشير عليه من طرف خفى أن يفتح أبواب السجون

ويطلق سراح المسجونين فيقترح « كيد » هذا بل بأمر به

وما يكاد القائد الشيوعى يطأ لندن بقدميه حتى يصطف حوله أنصاره فى « كانون

ستريت » (شارع المدفع) ويقف هو بينهم خطيبا قائلا : الآن قد أصبح « موريتير »

حاكم هذه المدينة وسيدها ... وهأنذا الآن وأنا واقف فوق هذا الحجر فى ركن من احد

شوارعها أمرم وأطلب اليكم ان تعملوا طبقا لرغبتى فتجعلوا هذا اليوم - الذى هو اول

أيام حكمى - يوم عيد عام ، يجرى فيه التيزيد بدل الماء وسوف تعتبر خيانة عظمى

ابتداء من اليوم ، متادانى بغير « اللورد موريتير »

ومن سوء حظ جندى مسكين أنه لم يسمع ذلك الخطاب ، فلما أقبل هذا الجندى
التعس بعد الانتهاء من الخاب ، ليبلغ رسالة الى القائد ناداه صارخا جاك كيد ! جاك كيد ،
- خذوه بعيدا عنى ! وليعدم حالا !! هكذا نفذ الموردمورير أمره ، فلم يلبث ذلك
المنكود الحظ ان اصبح جثة هامدة

في هذه اللحظة يتقدم ، ديك ، القصاب ويقول :

- مولاي اللورد ؛ إن جيشا يتجمع في ستمفيلد

- تعال إذن لنذهب الى محاربتهم . ولكن عليك ان تذهب أولا الى كبرى لندن
فتشعل فيه النار ، واذا استطعت فأحرق البرج كذلك ، واتم يارجالى هيانا ، اتبعونى .
يتبدد الجيش المتجمع في ستمفيلد ، ويصبح كيد - تقريبا الحاكم لمدينة لندن فيتقدم اليه
، ديك ، القصاب في خضوع وخشوع إن ، لى ، رجاء اذا سمح سيدى اللورد بأبدائه ،
فيجيبه كيد ، لو أنك طلبت منى أن أجعلك لوردا من أجل هذه الكلمة لفعلت ، يقول
ديك ، إن كل ما أرجوه هو أن يكون قانون انجلترا من خارج فيك ، ... وحينئذ
يهمس جون - أحد رفاق كيد - في أذن زميله سمث الغزال ، ويخبر تلك القوانين التى
تصدر من فم ذلك الغر المقتون ! إنها ستكون مثل السهم الطائش لا يعرف أين يكون
مستقره ، ويجاوبه سمث ، هنا صحيح يا جون ؛ إنها بلا ريب ستكون قوانين تنه يفوح
يها نفس كربه ، ... ويلتفت ، كيد ، في هذا الوقت نحو القصاب قائلا ، لقد فكرت
فى الامر وأرى أن يكون لك ما أردت فاذهب إذن وأحرق جميع سجلات البوالة ، ومن
الآن فصاعدا سوف يكون فى برلمان انجلترا ، وحينئذ يقف جون جانبا ويقول ، إذن
سوف تكون لدينا تماثيل عضاضة اللهم إلا اذا خلعنا له أسنانه ، ويستأنف ، كيد ،
حديثه ، هكذا ستجري الامور من الآن ،

حقا إن الغاية التى يرمى اليها الشاعر (شكبير) لا يمكن أن تكون أكثر وضوحا
من هذا . لماذا يعرض علينا كل تلك المساخر والمهازل لماذا يمثل لنا ذلك القائد الشيوعى
والغوغاء من خلفه فى صورة مجسمة من الجهل والوقاحة والطيش والقسوة أقول لماذا
يفعل الشاعر هذا اذا لم يكن يرمى الى الاشادة بمحاسن النظام ، وحفاظ النظام
الدهماء والابوابش شيان كان يكرههما شكبير كل الكره ولم تمنح له فرصة فى
وصف الشعب كهينة سياسية ألا صب عليها جام سخطه وأعرب عن عدم استطاعته

والتطور من حالته السديمية مرتقياً نحو تكوين النجوم الثوابت والسيارات، الى ظهور النباتات والحيوانات والانسان . اذا تخيلنا ذلك وجدنا أن لغة العلم تلقى في روعنا دائماً أن الاسباب التي ظلت مؤثرة في العالم بالامس هي بذاتها الاسباب التي تعود اليها القوى التي نلقبها مؤثرة في العالم اليوم ، وان هذه القوى بعينها هي أسباب ما سوف يحدث من الظواهرات في المستقبل . وحصل القول أن كمية المادة والحركة المبثوثة في العالم اليوم ، كانت كذلك بالامس . وستظل كذلك في المستقبل وان تغيرت صورها . إذن فهذا القول يدل على أن عوالم الامس واليوم والغد ، ما هي إلا عوالم متصلة بروابط ضرورية يقتضيها بقاء مقدار من القوة لا يتغير كماً ، وإن تغير كيفاً . من هنا تدرج الى أساس ذلك ، ف نجد أن هذا القول لا يوازي شيئاً أكثر من تلك القضية الضرورية المشابهة لتلك القول ، قضية أن اثنين واثنين يؤلفان أو يسيان اربعة ، أو أن الاربعة لا تخرج أبداً عن كونها نتيجة أو معلول اثنين واثنين أو ما يساويهما . وليس في ذلك من معنى السببية الحقيقية أكثر من أخذك قطعة من الصلصال ذات صورة ما في احدى يديك ثم تضغطها فتأخذ صورة أخرى غير صورتي ، ثم صورة ثالثة ، ثم صورة رابعة ، ثم تدعى أن الصورة الاولى علة للصورة الثانية ، وأن الثانية علة للثالثة ، وان الثالثة علة للرابعة — وهكذا دواليك الى ما لا نهاية .

والحقيقة الثانية أن اصطلاح السبب ، كما يستعمل في المعنى العلمي : اصطلاح 'مرض لغوياً فقط ، وليس اصطلاحاً فلسفياً . وما الاسباب العلمية الا نتائج منظومة . فالجبر اذا قنف الى أعلى يعود الى الارض . ولماذا ؟ لأن جاذبية الثقل تجذبه ثانية الى أسفل . هذا كما لو قلت : لأن كل الاشياء ترى عائدة الى الارض تحت تأثير الظروف المحيطة بذلك الحجر . ولكنك اذا تساءلت لماذا تسقط الاشياء اصلاً ؟ ولماذا يكون للجاذبية ضلع في نظام الكون ؟ فهناك لا نجد من جواب أرواح على نفسك وأحفظ لآلفة عقلك ، من القول بانها هكذا سبقت في ارادة الله !!!

ولو أردنا أن نستطرد في اثبات أن السببية العلمية ليست سببية حقيقية ، فلدينا تلك الحقيقة العظمى . حقيقة إن العلم ، يستعمل ككثير ، السبب ، و . السنة ، بالتناوب لتقوم إحداهما مقام الأخرى . فعند ما استكشفت سنة ، الجاذبية الثقل مثلاً ، فسرت بها حركات الاجرام السماوية التي لم يكن لها مفسر من قبل . حتى أن سقوط الحجر الى الارض قد تناوله هذه السنة . وهكذا الحال في الوقت الحاضر اذا استكشفت أية سنة أخرى . ذلك لانها تعين لنا الاسباب التي يرجع

اليها وقوع كثير من النتائج التي كانت مصادرها غامضة علينا من قبل. وما دام السبب والسنة لا يزال كل منهما في نظر العلم على هذا النخاط، فمن الظاهر الجلي أن السببية العلية ليست سببية حقيقية على إطلاق القول، إذ أي شيء من الآثار ينتج عن نظام تتالي الظاهرات، في البيان عن العلة الحقيقية التي تنتجها؟

...

المحصل

تقف بهذا البحث عند هذا الحد — ولا تورط في الذهاب فيه لاكثر من هذا. وغالب الظن أن في هذا القدر كفاية لكي يظهر للشيخ الدجوى أن اعتقاده في الله لا يفضل اعتقاد أشد الماديين تعلقا بالمادية، واكبر الزنادقة تمسكا بالزندقة، لأن الجميع يستون عند الحد الذي يضطرون فيه الى القول بالعلة الاولى على انها فرض ضروري ليحفظوا بألفة عقولهم. والى هذه النتيجة تؤدي سلسلة البرهان التي ساقها الاستاذ الدجوى في مقاله هذا.

أما اذا أردنا أن نحمل الرأي فانا نصل الى الآتي :

أولا — فكرة الله فرض ضروري للاحتفاظ بألفة العقل

ثانيا — الاحتجاج بان العلم لا يعترف بوجود الله قول فاسد، لأن العلم يضطر الى التسليم ببعض الفروض الضرورية في الطبيعة ليستطيع أن يعلل الظاهرات، كما يفرض العقل وجود الله ضرورة ليحفظ بألفته.

ثالثا — السببية أو العلة الحقيقية تتضمن ضرورة فكرة الارادة، وأن ألفة العقل البشرى اذ تتطلب سببا للكون المرقى، فان ألفة العقل تسوق الى الاعتقاد بأن هذا الكون معلول لارادة عاقلة أى خالق.

رابعا — ليس معنى هنا أنك تعرف أو تعلم للخالق وجودا حقيقيا، اكثر مما تعرف أن للعالم الخارجى المحيط بك وجودا حقيقيا. ذلك لان كل ما في مستطاع الانسان ان يصل اليه في هذا الصدد، هو انه لا يستطيع أن يحفظ بألفة عقله الا بالاعتقاد في وجود ارادة مثل ارادته تدبر الكون

خامسا — تتضمن السببية الحقيقية لفكرة الارادة ضرورة عقلية لا يتفك عنها الانسان

سادسا — السببية العلية لا تتضمن فكرة الارادة، بل تتضمن فكرة التسلسل، ولذا فهي ان عللت الظاهرات، فانها تعجز عن تحليل الكون في مجموعه.

وبعد فهذه ياسيدى الاستاذ هي النتائج التى تترتب على فكرتك وبرهانك فى الايمان بالله ، وهى نتائج لا ينازعك فيها مادى ولا طبيعى ولا ملحد ولا زنديق من طابع ابن الراوندى .

هذا ولا يغيب عن ذهنك أن هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن للعقل البشرى أن يسلكه ليكون فكرة ما فى وجود علة للكون أو خالق . فإذا وافقتنا على ذلك فانت والله الحمد من زممرتنا ، أحرار الفكر ، وإذا لم توافقنا فعرفنا الى الله طريقا آخر ولك اجر المحسنين .

والنهاية أن هذه الافكار ذاتها قد نشرتها ودافعت عنها منذ عشر سنوات ولا ازال شديد الاستمسك بها . فلا يسبقن الى ذهن الاستاذ أنها جديدة علينا .

ولقد كنا نود أن تكون « نور الاسلام » ، مجالاً للبحث الحر المجدى فى حقيقة الاسلام باعتباره نظاماً اجتماعياً اعلى ، وباعتباره شريعة مثلى . مجالاً للبحث التاريخى المثمر والاستقصاء الجامع لشتات مانثر فى الاسلام والمسلمين فى الشرق والغرب ، ومناقشة الآراء مناقشة يستهدى فيها باسباب الادب المرضى والموعظة الحسنة ، فإذا بصفها سباب فيمن ينعمهم الاساندة - سامحه الله - بالملحدين كيدا لا اقتناعا ، وباطلا لاحقا ، وإذا بالنصف الآخر محاولة لاثبات الايمان بالله تويد وجهة النظر المادى ضرورة وعن غير اختيار .

وانا لارجو لنور الاسلام سعة الانتشار والعمر المديد تقضيه فى خدمة الاسلام والمسلمين .

اسماعيل مظهر

